ومن نقص عن بعض ذلك ممّا ليس بواجب معرفته في تفسير القرآن، وأحسّ من نفسه في ذلك بنقصه، واستعان بأربابه، واقتبس منهم، واستضاء بأقوالهم، لم يكن ـ إن شاء الله ـ من المفسّرين برأيهم». وأخيراً قال: «ومن حقّ مَن تصدّى للتفسير أن يكون مستشعراً لتقوى الله، مستعيذاً من شرور نفسه والإعجاب بها، فالإعجاب أُسّ كلّ فساد. وأن يكون اتّهامه لفهمه أكثر من اتّهامه لفهم أسلافه الذين عاشروا الرسول وشاهدوا التنزيل، وبالله التوفيق»[302]. ولقد أحسن وأجاد فيما أفاد، وأدّى الكلام حقّه في بيان الشرائط التي يجب توفّرها في كلّ مفسّر، حتّى يخرج عن كونه مفسّراً برأيه، وبشرط أن يراعي تقوى الله، فلا يقول في شيء بغير علم ولا كتاب منير. قال جلال الدين السيوطي: «ولعلّك تستشكل علم الموهبة، وتقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان! وليس كما ظننت من الإشكال، والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد. قال الإمام بدر الدين الزركشي: اعلم أنّه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي، ولا يظهر له أسراره، وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوىً أو حبّ الدنيا، أو هو مصرّ على ذنب، أو غير متحقّق بالإيمان، أو ضعيف التحقيق، أو يعتمد على قول مفسّر ليس عنده علم، أو راجع إلى معقوله، وهذه كلّها حُجُب وموانع بعضها آكد من البعض». قال السيوطي: «وفي هذا المعنى قوله تعالى: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ)[303]. قال سفيان بن عيينة: يقول تعالى: أنزع عنهم فهم القرآن فأصرفهم عن آياتي»[304].